

غلب على النقد العربي المعاصر مبادئ التنوير والحداثة التي شاعت منذ بدايات القرن العشرين، وصنفت تحت رايته الكثير من الأسماء الذائعة الصيت. لذلك يناقش هذا المقال شخصية "فتحي التريكي" والرهانات التي عاشتها في إطار رحلتها التنويرية، وذلك ما بين حرية المنهج الجديد الذي اختارته وهو حفريات المعرفة المستمدة من المفكر الفرنسي "ميشال فوكو" وبين متطلبات الحداثة وتطلعاتها، فكيف كانت رحلة "فتحي التريكي" في سماء النقد المعاصر؟ وما هي المواضيع التي ناقشها؟ وكيف ربط خطابه الفلسفي بالواقع اليومي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية تضمن المقال عدة عناصر أبرزها: التعريف بـ "فتحي التريكي" وربطه بالمشروع النقدي عند "ميشال فوكو" وفي إطار ما يعرف بالحداثة، ثم الانتقال إلى مناقشة بعض القضايا التي خاضها.

وتوصلنا من خلال هذه القطعة البحثية إلى: تحديد ماهية مصطلحي حفريات المعرفة والحداثة والربط بين مشروعين نقديين ضخمين أحدهما عربي والأخر غربي، والوقوف عند الرهانات التي يعيشها الناقد العربي المعاصر. الكلمات المفتاحية: حفريات المعرفة؛ الحداثة؛ السلطة؛ الفلسفة الشريفة؛ الخطاب.

ABSTRACT:

Contemporary Arab criticism has been dominated by the prevailing Enlightenment and modernity principles since the early twentieth century, leading to the classification of many famous figures under its banner. Therefore, this article discusses the figure of 'Fathi Triki' and the challenges he experienced during his enlightenment journey between the freedom of the new method he chose- the archaeology of knowledge- derived from the French thinker 'Michel Foucault' and the requirements and aspirations of modernity. In this perspective, How was the journey of 'Fathi Triki' like in the field of contemporary criticism? What topics did he discuss? And how did he link his philosophical discourse with daily reality?

To address this problem, the article includes several key elements: an introduction to 'Fathi Triki' and his connection to the critical project of 'Michel Foucault' within the framework of what is known as modernity, followed by a discussion of some of the issues he tackled.

Through this research paper, we have become able to: define the concepts of "Archaeology of Knowledge" and "Modernity," connect between two major critical projects (one Arab and one Western), and examine the challenges facing the contemporary Arab critic.

Keywords: Archaeology of Knowledge, Modernity, Power, Errant Philosophy, Discourse.

1. مقدمة:

كانت تونس المحطة المتوسطة التي ألهمت المفكر الفرنسي، وكان "فتحي التريكي" من أبرز المفكرين الذين عاصروا "ميشال فوكو" عن كثب، وكانت رؤيته بالنسبة إليهم واضحة الملامح بكل ما يشوبها من اختلافات وتداخلات، إذ هاجر "فوكو" عبر العديد من المناهج والأقطار، وكانت تونس المحطة الإبداعية البارزة التي حرر بها كتابه الشهير الكلمات والأشياء "وسمحت له الإقامة القصيرة التي قضاها في تونس بالالتحاق بصديقه "د. ديفير" وقضاء بعض العطل" (غرو، 2008، صفحة 12) فقد مكث بها لمدة ثلاث سنوات تقريبا، ألقى خلالها العديد من المحاضرات في مقياس الفلسفة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية في تونس، وقد جاءت رحلته هذه عقب لحاقه بصديقه "دانيال ديفير" الذي قدم إلى تونس لأداء الخدمة العسكرية في صفوف الجيش الفرنسي، فكانت رحلة "فوكو" في بداية الأمر من أجل الاستجمام، غير أنها تحولت إلى محطة ثقافية متوسطة، إذ وصل إلى تونس عام 1965م في فصل الصيف قبل بداية العام الجامعي، وهذا ما مكنه من الحصول على مقعد مؤقت في الجامعة التونسية، واستمر بها إلى عام 1968م، وهذه التنقلات المستمرة لم تكن للتملص من الالتزامات السياسية أو غيرها، وإنما جاءت للتحرر الفكري و الاطلاع الواسع على ما هو خارج عن المؤلف.

كان فوكو في هذه المرحلة يصارع للظهور ضمن دائرة الفكر الفرنسي المزدحم بالنقاد والفلاسفة اليساريين والبنويين وغيرهم، ويستفيد من هذه الإقامة لوضع كتابه الذي يحمل عنوان "أركيولوجيا المعرفة"، وقد ساعدته تونس أيضا على تحديده لمفهوم مهم جدا هو السلطة، وذلك انطلاقا من اطلاعه على الحركة الطلابية ومساندته لها ضد التجار اليهود. التقى "فوكو" في هذه المرحلة بالعديد من النقاد العرب كالناقد التونسي "فتحي التريكي" الذي قال عنه: "كان حريصا على معرفة ما ندرسه... ويطلق علينا نحن الأصدقاء الأربعة سكان الشقة 1 شارع بورقيبة، تسمية أبناء ماركس وكوكاكولا، فقد كنا في نظره ليبراليين ندافع عن الحرية" (نظيف، 2021)، إذ اندمج مع تلك الحركات الطلابية بسرعة لأنه جنح إلى كل ما هو جديد ومناهض ورافض لكل ما هو يدعو إلى الثبات، فدعوته كانت متجددة للتغيير وإعادة النظر.

فقد "شكلت تونس بالنسبة إليه أيضا تجربة المتوسط والشمس، وإجابة على التوجه النيتشوي في أن يصبح مجددا يونانيين" (غرو، 2008، صفحة 13)، لقد مثلت تونس بالنسبة إليه الملاذ الآمن الفريد من نوعه الذي يشبه إلى حد بعيد ما كان سائدا في ثقافة الإغريق القدماء، وقد أعيب عنه العديد من الممارسات غير الأخلاقية واختلف حول السبب الذي جعله يغادر تونس، فبينما اشتدت الحملات الطلابية لجامعة تونس ضد التجار اليهود فتح "فوكو" منزله لخدمة هؤلاء الطلاب وطبع مناشرهم بآلته الكتابية الخاصة، وما إن غادر تونس أثناء هذه الأوضاع حتى اتجه بعدها بقليل لإيران،

ويمكن القول أنه بلور في هذه المرحلة العديد من الأفكار حول الذات والجنس من خلال ما صادفه من ممارسات بالبلدين المسلمين وكيف كانا يتعاملان مع هذه القضايا.

2. "فتحي التريكي" من سيدي بوسعيد إلى السوربون:

هو مفكر وفيلسوف تونسي ولد بصفاقس عام 1947م. درس الفلسفة وتحصل على شهادة دكتوراه في فلسفة السياسة من جامعة السوربون بفرنسا، وأخرى في الفلسفة من جامعة تونس. عرف بصداقته الفكرية مع "جاك دريدا"، حتى أنه دعا معه إلى فلسفة التعايش. تقلد العديد من الأوسمة: وسام الاستحقاق في التعليم والعلوم، والجائزة الوطنية في الآداب والعلوم الإنسانية، ووسام الجمهورية في تونس، وشغل العديد من الكراسي العلمية، ككرسي اليونيسكو في الفلسفة. اشتغل بالعديد من الجامعات ككلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، ثم أستاذا زائرا بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية، وأستاذا للفلسفة بجامعة باريس. ألف ثمانية وعشرين كتابا أبرزها: "قراءات في فلسفة التنوع" (1988م)، "فلسفة الحداثة" (1992م)، "مقاربات حول تاريخ العلوم العربية" (1996)، وغيرها.

وتعددت القراءات في التجربة النقدية التي جمعت "فتحي التريكي" و "ميشال فوكو"، وأبرزها الكتاب الذي قدمه الناقد المصري "محمود محمد علي" أستاذ الفلسفة بجامعة أسيوط في كتابه الموسوم بـ: "الذاكرة والمصير: محطات في سيرتي الذاتية... قراءة تحليلية- نقدية في فكر "فتحي التريكي"، الذي صور كتاب "فتحي التريكي" "الذاكرة والمصير" على أنه "نوع من الحكى الروائي الذي يستعين بجمال الأسلوب" (محمود، 2020، صفحة 08)، وهي الميزة ذاتها التي وسمت أعمال المفكر الفرنسي "ميشال فوكو". لقد كان هذا الكتاب مثالا فعليا للسيرة الفلسفية لهذه الشخصية وعرضا لمخاوفه في مرحلة سقوط حكم "زين العابدين بن علي"، ومشاركة "التريكي" في المظاهرات التي قامت في تونس لأنه كان عضوا في "الهيئة العليا لتحقيق أهداف الثورة والإصلاح السياسي والانتقال الديمقراطي"، وبذلك مثل التيار اليساري الماركسي أحسن تمثيل.

فهو فيلسوف تنويري كامل الملامح عبر عن آرائه بكل شجاعة "فالببحث الفلسفي في فكر "التريكي" تعبير خالص عن الموقف الفكري المستقل" (محمود، 2020، صفحة 15)، لذا نجده يعيش فلسفته على أرض الواقع من خلال آرائه الفكرية والسياسية، ويرتبط ارتباطا وثيقا بعصره من خلال فعل التفكير قائلا: "ذاتي هي عصري الذي عشته بجوارحي وتعقلي" (التريكي، 2020، صفحة 21)، وانطلاقا مما سبق صاغ إشكالياته الجوهرية: ما الحداثة؟ هل يمكن الوصول إلى فلسفة يومية؟ كيف يمكن تحقيق الاختلاف؟ وغيرها. فهو بحث فلسفي لا ينطلق من الأنساق وإنما من طبيعة التفكير وفعله وربطه بالواقع وبهذا نعيش لنصارع الأنساق.

وقد استمد قوة آرائه من واقع الفلسفة العربية وغيرها المعاصرة، التي اتخذت من الواقع طريقة للتفكير لها، لذا نجده "يعالج عنقودا من القضايا الفكرية الساخنة الراهنة" (محمود، 2020، صفحة 30)، وهو الإطار ذاته الذي سعى إليه "ميشال فوكو" في مرحلة الحداثة ومرحلة ما بعد الحداثة، وهو الخروج عن المؤلف والمتداول والسعي وراء التجديد والابتكار والانتقال من الموحد إلى المتعدد في إطار ما يعرف "بالفلسفة الشريفة" أو اللانسقية. هذا المصطلح الذي اختاره عنوانا لإحدى كتبه، يتصبح الفلسفة تشتتا واختلافا عوضا عن ذلك النسق الأحادي أو الحلول القطعية التي ظهرت كأنها حلول دائمة أو تصنيفات خالدة للخطابات.

وقد انتقل "التريكي" في كتابه "الذاكرة والمصير" التي اعتبرها رفعا للنقاب عن كل مستور من السيرة الذاتية الوجدانية إلى العقل ومنه إلى الأخلاق ليشمل بذلك العديد من المواضيع المتنوعة، ويشكل خطابا متنوعا في مجال السير، إذ نجده لم يغفل تلك التفاصيل الشريفة عن مجتمع الغلمان الذي شاع في عصر البايات بتونس بذكره للعم فرج الذي اتسم بمواصفات غريبة جمعت بين الأنوثة والذكورة، كما فعل "ميشال فوكو" في مناقشته لإرث الرومان واليونان.

ثم انتقل "فتحي التريكي" إلى استئجار شقة رفقة زملائه الطلبة بالجامعة ليساعدهم "ميشال فوكو" في هذه المرحلة في إقراضهم لمبالغ مالية لسداد مستحققاتها، وكان "فوكو" مطالعا بنهم على ما يقدمون عليه من نضالات سياسية، فقد اندمج بحياتهم الفكرية، وحضر الكثير من اللقاءات الثقافية كمحاضرات الروائية "حفصية جليلة".

وكما تحول منزل "ميشال فوكو" بالعاصمة تونس إلى مقر للحركة الطلابية التونسية سرا، خصص "فتحي التريكي" منزله بسيدي بوسعيد للمناضلين المناهضين لحكومة البلاد آنذاك، لذا فإن "انغماس فوكو في الحياة التونسية والصورة النمطية التي رسمها للفيلسوف... هو ما جعل "فتحي التريكي" يمارس التفكير الفلسفي في تقاطع وجدل مع الفعل السياسي اليومي" (محمود، 2020، صفحة 44)، وهذا أضفى طابع الجدلية على مسار كليهما، فـ "التريكي" تعرض لجملة من الاعتقالات والمآزق السياسية التي تراجعت بتولي "زين العابدين" للحكم لتعاود الظهور لحظة سقوط حكمه حينما عاد "التريكي" ليشترك في الوقائع اليومية لما يعرف بالثورة أو ما أطلق عليه الربيع العربي.

وقد أفصحت هذه المسارات في حياة "التريكي" عن منهجه الذي أناخ فيه عن التشبث بالخطابات المهيمنة والآراء الكليانية التي تقر بالرأي الواحد والهيمنة الواحدة، وسعى إلى ترسيخ فكرة التعدد والتشتت، ودعا إلى ما يعرف بالفلسفة المفتوحة، ولهذا نجد- حسب رأيه- المفكرين العرب ينبذون الحداثة ويعون إلى ما بعدها أو إلى إحياء التراث (التريكي، 2020، صفحة 63)، على خلاف "التريكي" الذي يرى في هذه الفلسفة ملاذا آمنا للتخلص من الانغلاق والأحادية وفرصة للجمع بين الأصالة

والمعاصرة، وانطلاقاً مما سبق ذكره كانت علاقة "فتحي التريكي" بمنهج الحفر والمشّي في رحاب الحداثة علاقة وطيدة.

3. حفريات "ميشال فوكو" وجهود الحداثة:

من أهم المفاهيم والرؤى التي صاغها "ميشال فوكو" وتأثر بها "التريكي":

1.3. مصطلح الجنون:

وهو مفهوم ربطه بالسلطة والعقاب ومن أهم ألياتها الإقصاء، النبذ، الحجز والتحرير. وجميعها شكلت سلطة وحفريات إكراه في خطاب الجنون عند "ميشال فوكو"، واشتركت في حقيقة بارزة لهذا الخطاب وهي أن الجنون عومل بطريقة غير عقلانية مع اختلاف زاوية الرؤيا، وبينما كان الجنون يعامل بنوع من الوعي الديني في العالم الإسلامي عومل بقسوة وإكراه في العالم الغربي، وضمت تحت لوائه أصناف متعددة من الأسقام، وكان موقف "فوكو" معادياً لمعاملة العالم الغربي لهذه الظاهرة وسبب هذا الرفض يرجع للعناصر التالية:

- أن العالم الغربي لم يفهم طبيعة الجنون بما في ذلك علماء النفس.
- أن الجنون ضم فئة المرضى والخارجين عن القانون وحتى العباقرة في بعض الأحيان.
- أن العالم الغربي عمل على التعذيب النفسي والجسدي للمجنون دون أن يدرك خطابه.
- أن الجنون ظاهرة سيطرت عليها عدة أشكال سلطوية، ثم تركت بعد الثورة الفرنسية للمجهول عن طريق تحريرها وتصديرها إلى الدول المستعمرة وغيرها.
- غياب خطاب واع يحلل هذه الظاهرة.

- ومن أشد ملامح رفض "فوكو" للطرح الغربي لهذا المفهوم أنه حاول أن يقنعنا أن "كل ذي عاهة جبار"، وأن الجنون قد يختلط مع مفهوم الإبداع، وأن كل عصابي يمكن أن يكون مبدعاً.

وتطرق في الفصول الأخرى لكتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" إلى ظاهرة الجنون بطريقة متميزة لم يسبق لها مثيل، فمنهج هو الحفر النقدي "الذي يقوم على النقد من جهة والتفاعل المنهجي لمختلف الطرائق الضرورية في هذا الشأن من جهة أخرى" (جيجيكة، 2011، صفحة 11). هذا المنهج الذي يعتمد على البحث في الأرشيف ليس وفق خط زمني، وإنما من خلال نقد أو فكرة معينة فمعاوله متعددة، وذلك بهدف البحث في كل زاوية مظلمة أو مخيفة والكشف، فالحفريات ميدانها الأول هو كل خطاب هامشي أو قضية مسكوت عنها، وحفريات المعرفة تسير جنباً إلى جنب مع التأويل وتعدد القراءة. وقد تم هذا الحفر في العصور الوسطى مروراً بعصر النهضة والعصر الكلاسيكي ووصولاً إلى العصر الحديث.

2.3. مفهوم الخطاب وأنظمتها:

كان مقال نظام الخطاب (1970م) هو العتبة الأولى التي انتقل من خلالها "ميشال فوكو" إلى عرض أفكاره بطريقة نقدية نظرية منظمة، ومع كل التفاصيل التي جاءت ارتجالية به يبدو هذا الكتاب كأنه أول مولود فكري سجل به الفيلسوف صوته وكتب به تاريخه "L'Ordre du Discours" هو الكتاب الذي حمل في طياته البعد النقدي الحقيقي لكتب "فوكو"، ونجده فيما بعد يعيد تنظييمه في نسخة جديدة، فهو الكاشف الرئيسي عن النظام أو طريقة ترتيب الكلام أو الخطاب، وقد انتقى الكثير من النقاد مصطلح نظام الخطاب كترجمة له.

- الخطاب الفعال - خطاب علمي:

فيجب النظر دائما "إلى المستوى الفني الذي يجب أن تستثمر فيه المعرفة لتكون قابلة للتحقق ومفيدة" (Foucault, 1970, p. 08)، وهنا كان يجب حضور الجانب التقني وربط المعرفة بعالم المادة، وفعالية ونجاعة الخطاب وجدواها.

3.3. إرادة المعرفة والإقصاء:

ربط "فوكو" الحقيقة بسلطة الإقصاء، فكل خطاب لا يبدو حقيقيا في عصره معرض للإقصاء، والحقيقة هنا غير متعلقة بالصدق الصوري الذي ألفناه في المعرفة الغربية القديمة (اليونانية وغيرها)، بل هي الحقيقة المتعلقة بنجاعة الخطاب واستمراريته ومناسبته لروح العصر، وهو ما يعرف بإرادة معرفة متشكلة في عصر معين ووفقا لضوابط وسلطات معينة، وهذه السلطات لا تتوفر إلا من خلال نظام مؤسسي معين، فللخطاب مؤسسته التي يصدر عنها، ويقدم كمثال على ذلك "علم التربية" الذي تطور وفرض نفسه لأنه خطاب فعال، فالنظام يحكم المعرفة والخطاب والمؤسسة، لذا يجب وضع هندسة مسبقة لتنظيم هذا التعالق.

فهذا الإقصاء المتحدث عنه هنا هو الطريقة التي فرضت على الخطابات من أجل استمرارها وبقائها، ومن هذه الخطابات "الخطابات الأدبية" التي - حسب رأيه ومنظور الكثير من النقاد - لم تصل إلى مستوى الحقيقة المطلوبة، إرادة المعرفة قد فرضت عليه وسمطت له جملة قوانين مسبقة، وبين هذه المصطلحات الفريدة والحداثيّة نشأ منهج الحفر الذي صاغه "فوكو" وامثل له الكثير من النقاد العرب.

ومن جهة أخرى، ينبغي عند الحديث عن أي فيلسوف حداثي أن نرجع إلى ماهية الحداثة (La Modernité)، ونفصل في أوجهها ونواحيها، حتى يسهل علينا التعرف على القوالب الفكرية التي استقاها المفكر، والتمعن أكثر في طبيعة التأثير والتأثر الذي صنع من خلاله تجربته الفكرية أو النقدية، فبالفلسفة تولد العلوم وإليها تصل، ولا يزال هذا المفكر أو ذاك وفيما لمعلمه بالإيجاب أو المعارضة أو الاختلاف مهما تألق نجمه، و "ميشال فوكو" من هؤلاء الذين تعلموا الفلسفة وخطابها من موارد مختلفة

اختلاف ما تركه وراءه من مؤلفات، والأمر الأكيد أن الحداثة بمختلف ميادينها وشعبها قد أسهمت في تكوين هذا الخطاب النقدي المتميز لديه، فما هي الحداثة؟

هي مفهوم قائم على التغير المستمر، فليس شرطاً أن يكون تغييراً جذرياً، بل يجب أن يكون حاضراً في كل حين، "فالحداثة ليست مفهوماً سوسيولوجياً ولا مفهوماً سياسياً، وليست بالتمام مفهوماً تاريخياً، بل هي نمط حضاري خاص يتعارض مع النمط التقليدي، أي مع كل الثقافات السابقة عليه أو التقليدية. فمقابل التنوع الجغرافي والرمزي لهذه الأخيرة تفرض الحداثة نفسها على أنها شيء واحد متجانس رائع عالمياً انطلاقاً من الغرب" (Foucault, 1970, p. 07)، فمفهوم الحداثة قائم على النمط، وهي طريقة أو أسلوب فريد من نوعه متميز يمكن أن يتمثل في فكرة أو سياسة أو أيديولوجيا. هي فكرة حية بارزة في نقطة معينة من التاريخ، فأسس النمط هي: الجودة/الشمولية، بمعنى أن يكون النمط فكرة متفردة متميزة، وأن تشمل جميع الميادين والذوات في الآن ذاته.

صيغت الحداثة عند "فوكو" على أنها "سلطة يتحتم رفضها أو قبولها" (Foucault, 1970, p. 48)، وهذا الرفض أو القبول يفضي إلى نقاش العديد من القضايا كنحو ماهية السلطة وتجلياتها. من أجل هذا يجب طرح جينيولوجيا الحداثة والبحث فيها بداية من نص "كانط" وبداية ما يعرف بالأنوار، فكتابة تاريخ جديد للحداثة يبدأ من منظور فوكو- منذ "كانط"، ويعتبر مرجعه وانطلاقته نحو عصر الأنوار، فهو العتبة الأولى لقراءة الحداثة، "فالحداثة أكبر مفهوم يعالج تساؤلات الحاضر منذ نهايات القرن الثامن عشر" (Foucault, 1970, p. 49)، ومفهوم الجينيولوجيا عند "فوكو" مأخوذ من مفهوم "نيتشه".

4. أطروحات "فتحي التريكي" في ضوء ما سبق:

أسهم "فتحي التريكي" في التعريف بالتجربة التونسية في حياة المفكر الفرنسي "ميشال فوكو" على خلاف الكثيرين الذين اعتبروها مجرد رحلة للاستجمام والترفيه، وقد تأثر بـ "ميشال فوكو" في العديد من أعماله، وتبنى أفكاره ومصطلحاته، ومن مؤلفاته التي تعكس ذلك:

1.4. فلسفة الحداثة ما بين المعقول والمخيال:

ألف التريكي هذا الكتاب رفقة "رشيدة التريكي"، زوجته وإحدى الناشطات الحقوقية التونسية، وصدر عام 1992م عن مركز الإنماء القومي ببيروت، إذ بحث فيه كيف تكون الفلسفة قولاً في مواجهة فعلية لإيديولوجيا الارتكاس؟ أي في مواجهة فقدان الذات أو العدمية؟

حاول "التريكي" في هذا الكتاب صياغة تصور عام نظري حول الحداثة والتحديث من وجهة نظر ميادين متعددة كالأنثروبولوجيا والفن والإبداع، وإبراز طابع الشمولية الذي تميزت به، يهدف من خلال

ذلك إلى التعريف بالحدث بعد أن كانت مجهولة المعالم في الفكر العربي في ذلك الوقت، وإلى تجديد حضور العربي ضمن العالم الجديد.

انطلق "التريكي" من هذا الطرح لأنه يؤمن بأن الحداثة مرتبطة الجذور بجميع الحضارات بما فيها الحضارة العربية- فحسب رأيه- نحن لسنا في حاجة إلى التأصيل بقدر ما يجب أن نقف عند الحداثة ونساهم فيها، لقد دعا في هذا الكتاب كما سيدعو في كتبه اللاحقة إلى تجنب الوقوع في بوتقة التأصيل، والدعوة إلى المشاركة الفعلية في الأحداث العالمية، وهي ذاتها النظرة الثورية المتمردة التي لاحظناها في مؤلفات "ميشال فوكو" ووسم بها من قبل النقاد.

وقسم هذا الكتاب إلى باين: الأول ناقش فيه معضلة الحداثة وارتباطاتها ببعض المفاهيم كالهوية وضروب الفكر (العلمي، السياسي والفلسفي)، والثاني الحداثة وعلاقتها بالفنون التشكيلية والرسم، فربط بذلك السياسة بأنواع مختلفة من الخطابات، ومن ملامح الخطاب الفوكوي في نصه:

1.1.4. موضوع الحداثة:

انطلق "التريكي" على منوال "هيجل" و "هايدغر" وبعدهما "ميشال فوكو" من إشكالية جوهرية صاغتها الحداثة في الفكر الغربي في مرحلتها المابعدية، وتتمثل في التشققات التي انشغلت الحداثة بترميمها، وذلك في إطار إعادة نقدها وعقلنتها في كل مرة من جديد، فالحدث في نظره تعيش العديد من المعضلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي لا يعيها الفرد، ويجب أن ترتبط الحداثة بعملية التحديث من خلال جمعها للتراكمات المعرفية وخضوعها لما يتطلبه سوق الإنتاج والسلطة الاجتماعية والسياسية، ودعا من جهة أخرى إلى تجاوز التصورية الأحادية التي ترى الفكر مقتصرًا على الأنا، ومن هذه الآراء ما ذهب إليه "هسرل" في فلسفة الأنا المتعالي وتجاوزه "هابرماس" في فلسفة التواصل (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 10)، وذلك يعني أن فلسفة الحداثة قد تجاوزت المقولة: "أنا أفكر إذن أنا موجود" لتنتقل إلى ما بين الذاتيات، وهو مصطلح تبناه "التريكي"، ويعبر عن تراجع الأنا في الفلسفة الحديثة تدريجياً، "فالمعضلة الحقيقية تكمن في هذا الانفصال في نمط تصور الذات إدراكاً وفعلاً" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 10)، فهناك تذبذب في الاهتمام بالأنا وهذه هي المعضلة الأولى للحدث.

وأما المعضلة الثانية فتتمثل في طريقة تصور الزمن وحركيته، فتارة يتم تصوره أنه متحرك، وأخرى يصور على أنه متقطع ومتعلق بلحظات آنية، فالتحديث متعلق بتراكم غير خطي وانقطاعات وانفجارات زمنية لأنه خرج عما هو مألوف قبل الحداثة. فنقاط التقطع والانفصال مهمة لأنها تخرجنا عما هو مألوف، واتبع "التريكي" في هذا الطرح تصور "ليفى ستراوس" للتاريخ الذي يرى أنه تجمع متقطع لموضوعات معينة ترد بتواتر معين (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 10)، فالمعضلة

الثانية التي تواجه الحداثة هي الفهم القديم لعلاقة الفكر بالزمن، وقد ربط "التريكي" هذه المعضلة بإيديولوجيا الإنماء التي تؤثر على النتاج الاقتصادي وغيره ليعيد صياغة مفهوم للحداثة على أنها ليست خطاباً إيديولوجياً، وإنما هي حركة تاريخية نتجت عن مسار فكري، وهذا المسار بدوره تشكل عبر أنساق جديدة، والمطلوب من الدراسات الحديثة الكشف عن هذه الأنساق، لفهم المعقولية التي تسيطر علينا. وهذا التحليل نجده واضحاً في "نظام الخطاب" عند "فوكو" عندما رسم خط الزمن في دراستنا للخطابات وأنواعها وكيفية تشكلها.

وعليه اعتبر "التريكي" أن الخطاب بأنواعه هو إحدائيات مهمة لفهم الحداثة سماه "إحدائيات القول"، حيث يفصح عن ثوابت ومتغيرات، وكأن الزمن محور الفواصل والممارسات محور التراتيب المتغيرة، فليس هنالك تغيير خطي بل هو منحني بياني متغير التفاصيل، وتتمثل ثوابت الحداثة "في إرادة المعرفة وإرادة التغيير وإرادة الهيمنة كانت كالوسيط الكيميائي لهيمنة الغرب على العالم" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 21)، وبهذا وظف "التريكي" مفاهيم الإرادة الواردة في كتابي "فوكو" "المراقبة والعقاب" و"تاريخ الجنسانية" من جانب سياسي أن ربطها بالهيمنة الاستعمارية الغربية، فكان الطابع السياسي هو الغالب على هذا التحليل، لذا نجده قد ربط الحداثة بالهوية في فصله الموالي، فالهوية عنده غير متعلقة بالتراث فحسب بل متحركة في التغيير المستمر والحركة الدائمة، ويتحقق هذا من خلال الحداثة، و توصل في نهاية فصله الأول إلى أن الحداثة هي مهرب البشرية وخلصها.

2.1.4. الاهتمام بالخطاب العلمي والسياسي:

وعلى منوال "ميشال فوكو" تطرق "التريكي" إلى عقلنة الخطابات في الفكر الغربي قائلًا بأن الحضارة العربية وتحديدًا الفكر العربي مازال في مرحلة التحرر، ولم يصل بعد إلى مرحلة الحداثة لأنه مازال منحصراً في قضية "التراث والحداثة" و "الهوية والتفتح"، ولا يزال يعيد ما ورده عن العالم الغربي ويكرر تحليله، دون أن ينصرف ليركز على ذاته، ولا يعني هذا فشل المشروع الحداثي، وإنما عدم خوضنا للتجربة بعد.

ويمكن أن يخوض العقل العربي تجربة الحداثة بنجاح- حسب رأيه- لأن الحداثة مكونة تفاعلات حضارية مختلفة للغرب بغيرهم من الأجناس البشرية الأخرى، ومن بينها العالم الإسلامي الذي كانت له قنوات ثقافت مباشرة معه في القرن الثاني عشر ميلادي، وقد أثر العالم الإسلامي على الغرب في نفيه لبعض الهيمنات التي تتمتع بها الكنيسة عن طريق العقل والتجربة وفلاسفة العرب، وعلومهم خير مثال لذلك. فالحداثة الغربية اليوم بها شيء من تراثنا وشيء من كياناتنا (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 28)، ولهذا يجب علينا عقلنة خطاباتنا، وتحديد اللحظات الآنية التي مثلت النهضة في الفكر العربي، كما كان الأمر في الحضارة الغربية، وهو ليس طلب تأصيل، بل صياغة جديدة للفكر ومراحل

وانحناءاته وتقطعاته، وذلك من خلال جدلية العودة إلى التراث والتجاوز لعقلنة الفكر العلمي والسياسي والفلسفي وغيرهم، كما كان عند الغرب، وفصل "التريكي" في:

1.2.1.4. عقلنة الفكر العلمي:

فقد تم ذلك من خلال إنتاج نموذج أوحده للدراسات الرياضية مع "ديكارت"، ولم ينف فضل العرب واليونان في ذلك، وهذا ما أسهم في تراجع سلطة الكنيسة، ويمكن إسقاط هذه الفكرة على العالم العربي "فلا حداثة بدون عقلنة الفكر وبدون انفصال العقل العلمي عن الوجدان الديني" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 31)، وهذا ما مكن الفكر الغربي من التحلي بالجرأة في اكتشافات "غاليلو" حول القمر وغيرها.

2.2.1.4. عقلنة الفكر السياسي:

أثبت "التريكي" أن هذه العقلانية قد حددت منذ "أفلاطون" و "أرسطو"، عندما اقترحا طرقا وأنظمة لتنظيم السياسة، ولكن هذه المفاهيم السياسية بقيت مرتبطة بالمسلمات، وهو الأمر الذي نبذه "فوكو" في كافة كتبه، ونجد "التريكي" قد ذهب إلى الطرح ذاته، ويرى بأن هذه العقلنة بدأت من مثالية "أفلاطون" وتبلورت بطريقة علمية منظمة مع "مكيافيلي" في القرن الخامس عشر (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 32) الذي نبذ ميتافيزيقا التفكير، وانفصل عن الإيديولوجيا الدينية، وهما الانفصالان الناجعان في تاريخ عقلنة الخطاب السياسي، فالتفلسف من منظور التريكي (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 10) قائم على:

- التحديد: ويعني التعرف على الظاهرة ووضع الإشكاليات وهو بيان نوعية الموضوع.
- النقد: وهو قيمة ملحة تتمثل في النفي والإثبات.
- التوضيح: وهو القدرة على تمييز الأشياء وجعلها مفهومة.
- التشخيص: بمعنى الدقة في تحديد الأفكار وعدم الاكتفاء بالتصنيف العام، وهو المفهوم ذاته الذي وظفه "فوكو" في العديد من حواراته، وهو مفهوم مغاير للتنظير.
- التنظير: ويتمثل في مبدأ التعالي الذي وظف عند "ديكارت" و "كانط"، وتمثل في أن الفلسفة قادرة على صياغة نظريات تطبق في شتى العلوم.

3.2.1.4. عقلنة الخطاب التاريخي:

والذي يرى بأنها ظهرت في الفكر الغربي بعصر الأنوار وبعده من خلال هيجل، وحققت ذلك من خلال العودة كذلك إلى الموروث اليوناني واعتباره ركيزة العقل الغربي، ونشر الوعي بوحدة الممالك والدول، ويذكر كمثال على ذلك دفاع "مكيافيلي" عن وحدة إيطاليا.

4.2.1.4. عقلنة الخطاب الديني:

ولا يقصد التريكي بذلك توظيف العقل لفهم الخلق كما في مدرسة الرشدين الغربيين، بل هو تفسير النص الديني وفهمه وفق روح العصر، وقد بدأت هذه الفكرة عند المفكرين الغربيين في عصر النهضة واستمرت لتصل "كانط" وغيره، وتقوم هذه العقلنة على تجاوز النقل والابتعاد عن سلطة الكنيسة وعقلنة الخطاب الديني، هدفها تخليصه من سلطة الممارسات الإيديولوجية والشعوذة وغيرها، وهذا الأمر لا يمكن تحقيقه إلا من خلال التطور العلمي وربط العقل بالتقنية، وقد تحقق ذلك في العصر الكلاسيكي الذي رآه "ميشال فوكو" أنضج العصور الغربية، وأكد "التريكي" من خلال: (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 31)

- الإنتاج على الصعيد الاقتصادي وكذا الفكري، وذلك من خلال ربط العقل بالواقع.

- التمثيل: وذلك بالبحث في علاقة الفكرة بالوجود وظهرت في الحضارة الغربية العديد من التمثيلات كتمثيل "رينيه" وغيره.

- الاستدلال وتوظيفه في العلوم والفنون.

والقول بعقلانية الخطاب الغربي لا يعني أنه لم تكن هنالك تيارات تنفي العقل بعصر النهضة أو غيرها لأن التنوع موجود ضمن الحضارة الغربية، وهي ذاتها الفكرة المذكورة في كتابه "فلسفة الحياة اليومية" وكتاب "قراءات في فلسفة التنوع"، فالتعددية هي الميزة الأولى للحداثة، والملاحظ في هذا الكتاب أن "التريكي" قد ركز على الحداثة فكان حداثيا بامتياز، وبدا متفائلا اتجاهها عكس ما ذهب إليه "نيتشه" وقبله "هيجل"، "فالحداثة- حسب رأيه- جديرة بأن تكون القضية الأم للعالم العربي حاليا" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 32) لأنها تبعنا عن الجهل والتقليد والنقل وغيرها، وقد ارتبطت لدى الكثير من النقاد العرب بأنها ضرب من ضروب الاستعمار، ولكن "التريكي" يرى خلاف ذلك، فهي من منظوره دواء لعلتنا، ثم قدم قراءة لهذا الخطاب التونسي.

3.1.4. مفهوم الهيمنة:

ناقش "فتحي التريكي" الخطاب السياسي بإسهاب في الكثير من مؤلفاته، ورصد علاقة الحداثة، وحصرها في إطار إشكالية كيف تمارس السلطة يومياً؟ فحدد في بداية طرحه المعضلة التي يعاني منها هذا الخطاب، وذلك بارتباطه بأفكار "ماضوية" أي من الماضي، أو تقدمية أو محاولة التوفيق بينهما.

وربط "التريكي" مصطلحات الهيمنة والهوية بالسلطة، التي يقابلها في الموروث العربي القديم مصطلح "الحكم" التي تعددت معانيها بمعنى السياسة أو الأمر القضائي أو غيرها، ما يشبه إلى حد بعيد مفهوم السلطة الحالي الذي يعني العقاب، والتي "يكون حضورها خفياً ولملموساً في الآن نفسه" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 61)، فهي خطاب خافت فاعل. والدولة ماهي إلا تشكّل وتموضع لسلطات، وهي في تشكّلها هذا يجب أن تغوص في أعماق الحضارات لتنهل منها، وفي هذا الصدد يذكرنا بأنها عنف مشروع مقنن، وهو الأمر ذاته الذي صاغه "ميشال فوكو" في كتابه "تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي" عندما ناقش مفهوم التعذيب الذي يتم على ملأ من الناس لبسط سلطان القانون وتحقيق عمليات الردع، وأكمل فكرته هذه في كتاب "المراقبة والعقاب"، ويستطرد التريكي بأن الدولة كيان يعيش بأرض وفقاً لحكم ينبع منه، وهو الأمر الذي لم يتحقق بالحضارة الغربية إلا في القرن السابع عشر من خلال عدة ثورات كالثورة الفرنسية عام 1789م.

ويربط "التريكي" هذا المفهوم، وهو الهيمنة، بالمركزية وجعله نابعا من خلاله، ووظف مصطلح السلطة على أنه الخضوع لأنساق معينة يفرضها الخطاب، وأن حرية الفرد بدورها لا تتحقق إلا من خلال احترام الأفراد للقوانين التي تلحها وتفرضها هذه السلطة.

4.1.4. الحداثة والفنون:

ورد هذا الفصل في الباب الثاني من كتاب "التريكي" تحت اسم الباحثة "رشيدة التريكي"، وتعرضت فيه إلى الحداثة وعلاقتها بالمخيال، وانطلقت من تعريف الحداثة القائل بأنها عبارة عن فلسفة تاريخ تقدمية مرتبطة بعصر الأنوار، الذي رفض كل معرفة مبنية على مسبقات، واعتبر حرية التفكير هي السبيل إلى العقلنة، هذا المفهوم الذي يحتفي بالشك المنطقي لـ "ديكارت". وترى الدكتورة "رشيدة التريكي" أن الفن هو من أكثر الأشكال التي تفرض سلطتها وتميل إلى التحرر لأنها تفتقر إلى القيود المؤسسية، "فحداثة الفن تدفع هذا الاختلاف إلى أبعد من ذلك، فمن أجل الإفلات من عملية إضفاء الطابع المؤسسي على الإحساس ومن المنفعة يطالب الفن باستقلالية كاملة" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 93)، فحداثة تحفز التعدد والحرية وتفرض رأيها في زمن فرضت فيه المؤسسات هيمنتها.

إذ تستحضر "رشيدة التريكي" مصطلحا مهما هو "جمالية الإهمال"، وهي الجمالية التي يفرضها الفن بطريقة هادئة لأنها بعيدة عن التصور المنظم، ولكنها بدورها ركزت على مفهوم النسق، ويوضح أكثر هذه الأفكار من خلال فصل "الحداثة والاختلاف في الرسم" (الذي راجعته "رشيدة التريكي" وترجمه "محمد علي الكبسي") لأن الرسم هو الصنف الأشمل للفنون، ولهذا استعان به "فوكو" لإيصال فكرة العلاقة بين الكلمات والأشياء، ونجده قد رجع إليها، إذ "يظهر أننا دائما نقع فريسة أشكال تاريخ الفن ومختلف الممارسات القولية التي تجد فيه وسيلتها التعبيرية غير المنطوقة والملائمة لكل برهنة" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 95)، لأن فن الرسم قابل للتأويل، ويحمل في طياته دلالات متنوعة ومختلفة ومتجاذبة في الآن ذاته، فهو البنية المثلى لتحقيق الاختلاف، وتاريخ الرسم بدوره يتكون من أنساق وثورات شكلية.

فبالرجوع إلى تاريخ الرسم الغربي الذي يرجع إلى الفنان "فازاري Vasari" نتأكد أن الرسم خطاب مختلف التكوين، إذ "يمكن أن يختزل تاريخنا المحلي بالصور في موسوعاتنا" (التريكي ف. و التريكي ر.، 1992، صفحة 95)، فالرسم خطاب اختزالي لأنه مختلف التشكيل، وهذا الخطاب قد وجد استقلاليته الكبيرة في ضوء التقنية عن الكنيسة.

2.4. فلسفة الحياة اليومية بين التعددية والثقافية:

أصدر كتابه المتضمن لهذه الرؤية عام 2009م، تحت عنوان فلسفة الحياة اليومية، وحاول في هذا الكتاب الربط بين الفلسفة والواقع المعاش، ساعيا إلى ترسيخ فكرة وجوب التفكير والتأمل في حياة المجتمعات العربية، التي ربطت التفكير دائما بالقوالب الدينية، وأنكرته أمام التكنولوجيات المعاصرة، فكثيرا ما يقف العربي قائلا ما الجدوى من الفلسفة؟ فالسؤال الأول الذي صاغه التريكي هو: ما جدوى التفلسف وما هي فائدته في حياتنا اليومية؟، وسعى إلى التأكيد في كتابه هذا أنه "يمكن للفلسفة أن تتعامل مع الحياة اليومية دون أن تكون هنالك حاجة لمعاداة الإيمان الشخصي للفرد" (التريكي، 2009، صفحة 06)، وقد قسم هذا الكتاب إلى قسمين: الأول حول الفلسفة المعاصرة، والثاني عنوانه بالثقافية، ومن مظاهر تلقي التريكي لخطاب فوكو في هذا العمل الفلسفي:

1.2.4. فكرة التعدد والاختلاف:

ركز التريكي في عمله هذا وغيره من المؤلفات على فكرة "التاريخ الحضوري" التي صرح بأنه استقاها من منهج "ميشال فوكو"، والتي تعتمد على "تحرير الفكر الفلسفي من بوتقة المدارس والأنساق" (التريكي، 2009، صفحة 07)، واعتبر هذا الصنف من التاريخ هو الخطوة المثلى للتعرف على كل ما هو يومي، وقد أشار "التريكي" في هذا السياق إلى أطروحته التي صدرت باللغة الفرنسية تحت عنوان "الروح التاريخية في الحضارة العربية والإسلامية" التي تصب في الإطار ذاته، ويمكن تحقيق التاريخ

الحضوري من خلال فلسفة التنوع التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً- حسب رأيه- بالفلسفة المعاصرة، وألح على ما أقره "هيجل" بأن وحدة العقل والواقع غير مجدية، ولن يتحقق من خلالها ربط الواقع بالفلسفة، وإنما الحل الأمثل يكمن في التعدد والتنوع ضمن النسق الواحد.

وقد وضع "التريكي" بأنه استقى هذه الرؤية "من نظرية "فوكو" ونظرية "كارل بوبر" في المعرفة ونظريات "فرانكفورت" الاجتماعية" (التريكي، 2009، صفحة 08)، وأن هذه الرؤية صعبة التحقق على أرض الواقع لأننا اعتقدنا لقرنين أو ثلاث منذ القرن التاسع عشر على النظرة الوحدانية الكليانية التي تختزل العلاقة بين العقل والعالم في نمط تفكيري واحد.

وقد ركز "التريكي" على هذه الفكرة في كتابه: "الفلسفة والحياة اليومية"، وضمن باقي كتبه الرأي ذاته، إذ انطلق في الباب الأول من هذا الكتاب من مفهوم الحكمة في الحضارة اليونانية، وحاول أن يؤصل لها في الفكر العربي القديم، واستمر ذلك بالعصور الكلاسيكية إلى أن حدث التغيير الجذري مع "كانط"، وهو ذاته الرأي الذي ذهب إليه "فوكو" في حواراته، إذ "تجراً" "كانط" على نقد الميتافيزيقا نقداً جذرياً وبناءً في آن واحد، واكب في ذلك لا محالة تطور العلوم والتكنولوجيا" (التريكي، 2009، صفحة 17)، فقد جاء هذا النقد بعد انتشار فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر، ومن هنا انطلقت الفلسفة لتكون جنباً مع جنب بجانب العلوم والحياة اليومية، وكأن المشروع الكانطي قد أنزل العقل من السماء إلى الأرض، وغيّر مجرى الفلسفة القديمة، وجاء بعده "هيجل" ليرسخ ذلك من خلال الروح المطلقة ومعرفة المطلق والمستحيل، وبهذا انتقلت العقلانية من شكلها الصارم إلى المفتوح.

ومن القضايا التي قامت عليها الفلسفة المعاصر "قضية الفيلسوف الكامل"، الذي يمكنه أن يجمع بين الجانب النظري والتطبيقي، وهنا يستحضر "التريكي" مفهوم "الفيلسوف الهرج" الذي يبقى حبيس المعرفة المجردة، ويترفع عن الخوض في العلوم وشؤون المجتمع، ويرجع في هذا الطرح إلى أقوال "الفارابي" عن الربط بين النظرية والتطبيق، ومن أهم هذه المجالات مجال الحرية، وخير مثال لنجاعة هذا التفكير في العصر الحديث الفلسفة البراغماتية.

انتقل التريكي إلى موضوع التحديث الذي يجب أن يكون حاضراً في فعل التفلسف، وهي فكرة حداثة بامتياز، وعرف التحديث على أنه "مجموعة من العمليات التراكمية التي تهدف إلى الإنتاجية وتعبئة الموارد وتنظيم السلط" (التريكي، 2009، صفحة 29). فالتحديث على مستوى الفكر ينبغي أن يرتبط بسوقه الحياتي، وهذا من الأسس التي أرسها الحداثة، وحاولت الوصول إلى معقولية القول والفعل منذ العصر الكلاسيكي وآراء ديكرت وغيره، والرأي الذي ألح عليه "فتحي التريكي" أن هذا الأمر كان موجوداً بصميم بعض الحضارات كالحضارتين العربية والهندية، على عكس الحضارة الغربية التي كان لها ذلك مع الرياضيات فقط.

2.2.4. حضور الخطابات الهامشية:

ينتعش التفكير الفلسفي بالتعددية والتنوع، لذا ينبغي أن يهتم بالتفاصيل وإن كانت مغمورة، فالاهتمام بالهامشي يقود إلى ازدهار الحياة العقلية- على حد تعبير "هسرل- وغياب العقلانية يقود إلى الهمجية (التريكي، 2009، صفحة 40)، ولا يمكن لأي عقلانية أن تحقق ذلك إلا إن بُنيت على الاختلاف والتعدد، وقد عرض "التريكي" في هذا السياق آراء "جيل دولوز" ومن بعده "جاك دريدا" و "ميشال فوكو".

تمثلت جهود دولوز من خلال كتابيه "الاختلاف والمعاودة" و "من منطق المعنى" في التركيز على أشكال معرفية متنوعة، مثل الرسم والسينما والسياسة وغيرها، وأرسى معالم ما أطلق عليه التريكي "الفلسفة الشريفة"، هذه الفلسفة التي تعني ضياع المركز ومزاحمة الهامش له، وعكسها الفلسفة الكلاسيكية، أي القديمة التي تقرر بمركزية الذات في الفكر. "حيث أعطى "دولوز" للرغبة قدرة العطاء والإنتاج" (التريكي، 2009، صفحة 48) وهي فلسفة أخذها عن "نيتشه".

ووظف "التريكي" آراء "دريدا" التفكيكية التي تبحث عن المعنى خارج المركزية بالاعتماد على التأويل، محاولاً تشكيل عقلانية جديدة، من خلال ما توصل إليه "هيجل" و "نيتشه" و "فرويد" وغيرهم، و "جاك دريدا" هو الجزائري الذي عاش ودرس مع مسلمي الجزائر بعد أن طرد من معهد الفرنسيين لأنه ذو أصول يهودية، ليدفعه ذلك إلى البحث في الفلسفات الاستعمارية، ويرجع "التريكي" تفكيكية "دريدا" إلى الجنيولوجيا النتشوية ولاوعي "فرويد" والماركسية، "فدريدا حاول تحرير المعنى، مثله مثل فلاسفة ما بعد الحداثة "جان فرانسوا" و "جيل دولوز" (التريكي، 2009، صفحة 50)، وذلك يتم من خلال التفويض والتهديم، وقد كانت هذه التفكيكية من أكثر الأفكار التي زعزعت فكرة المركزية في الخطاب الفلسفي.

وانتقل "التريكي" إلى عرض إسهام "فوكو" في هذا التعدد والتنوع الذي أضفى إلى العدمية (التريكي، 2009، صفحة 52)، أي نقطة مغلقة، أو فكرة مشكوك بها، أو فخ فلسفي، أو فلنسمها تشكيك بالعقلانية الجديدة، لذلك اقترح "ميشال فوكو" ما يعرف بالهيمنة المطلقة في مقابل المركزية، وحاول الجمع بين العقل والأهواء، فيجب على الإنسان أن يعيش حضارته وجانب حياته اليومية دون أن يسمح للمعرفة بالهيمنة عليه، وهذا يمكن أن ترتبط الفلسفة بالحياة اليومية، وانطلاقاً من الثلاثة مفكرين اليوميين السابقين صاغ "التريكي" مفاهيمه، فيجب على الفلسفة أن تدرك أن التعددية واجبة في زمن تعددت به وسائل المعرفة في الحياة اليومية.

3.2.4. الدعوة إلى الثقافة والاهتمام بالخطاب الاستعماري:

يطرح "التريكي" قيمة التقطع الذي حدث على مستوى تصوراتنا، بأن أصبحت علاقة بين الصوت والصورة، واختلفت سبل المعرفة ووسائلها، ونحن أمام هذا الكم المعرفي لا يسعنا إلا أن نبني معارفنا،

فلا يهمننا أن نكون ماركسيين أو أي توجه آخر (التريكي، 2009، صفحة 44)، وهو ذاته طرح "فوكو" الذي طالب مرارا بإزاحة هذا التصنيف لا لشيء سوى لتجاوزه، فلقد تبين أن الشكل اليومي من خلال تعقده لا يخضع لأنساق التوحيد والتحنيط (التريكي، 2009، صفحة 85)، وهذا ما بحثه "التريكي" في الباب الثاني من كتابه "الفلسفة والحياة اليومية"، عندما حدد مفهوم الثقافة وعلاقتها بغيرها لتصل إلى الكونية من خلال فلسفة الحياة اليومية، بمعنى كيف تحقق الفلسفة اليومية درجة الكونية من خلال فعل الثقاف؟

إن فعل الثقاف خاضع إلى ما يعرف "بالإنسانية المهيمنة" و"الإنسانية الضعيفة"، وإنسانية تقود وأخرى تتبع، وانطلاقاً من هذا الطرح تنتشر الإبادات والحروب والأسقام، وتصبح العلاقة بين الإنسانييتين تشوبها الشبهة، والإنسانية الأولى المقصودة هنا هي "الأمم المتحدة ومجلسها" - على سبيل المثال لا الحصر - التي تتمتع بأخلاقياتها وعلمها الغزيز، تصبح هي المتحكمة الأولى في فعل الثقاف، وهي الطرف الاستعماري، بينما تصبح الثانية مجرد حاملة لشعار، الصمود وضد ما يعرف بالحداثة، لأن تقاوم كل ما هو استعماري.

ففي الفترة ما بعد الاستعمارية وأثناء التمعن في علاقة الإنسانييتين نلاحظ انتشار علاقات العنصرية والاستبعاد، فقد بين "هومي بهيما أن ما بعد الاستعمارية هو تذكير ملائم يخص العلاقات الاستعمارية الجديدة التي مازالت موجودة في النظام العالمي" (التريكي، 2009، صفحة 87)، فما بعد الحداثة يقابلها لدى "التريكي" ما بعد الاستعمارية التي يراها امتداداً للاستعمارية ذاتها، وأحد صرخاتها، فتلم المرحلة السابقة قد سطرت ما بعدها ولا تزال الإنسانية المسيطرة هي ذاتها، فأنى لنا التغيير؟ وبإمكاننا انطلاقاً من هذا الطرح أن نتخيل ماذا يحصل في الجمعيات العامة والمؤتمرات واللقاءات السياسية.

والتأصيل لهذه الدراسات الغربية الحديثة ما هو إلا فخ وقع فيه المفكرون العرب تحت وطأة الثقافة المضادة للحداثة (التريكي، 2009، صفحة 87) لأن هذه هؤلاء هو معرفة هويتهم، في حين هي معروفة مسبقاً ومخطط لها، فيصبح إثبات الهوية صموداً أمام العنصرية الامبريالية.

والمتمحكم في عملية الثقاف هو مفهوم التعددية والوعي بتصور الثقاف والتضافر بين الثقافات والكونية، فيجب أن يقوم الثقاف الآن على مبدأ التعددية كمبدأ خاص بهذا الخطاب، فخطاب الثقاف قائم على البحث عن المعاني التي من شأنها أن تجعل العالم قابلاً للتعايش، وهذا هو الأساس الأهم الذي يسير التعددية، والكونية هي محاولة التعالي إلى فلسفة يومية فعالة، فهذا هو التفكير الحداثي الذي آمن به "هيجل" وغيره، الذي يؤمن أن الإنسان الحداثي لا يعرف المستحيل، ويؤمن "التريكي" بالنسق المتعدد الثقافات والمركزيات في خطاب الثقاف، فقبل هذا الفعل تتشكل الصراعات

القومية والعالمية، وهو التصور الأمثل لهذا الفعل، ولهذا نشهد ظهور خطابات جديدة أو "تواصلات" موضوعها الإرهاب والتهديد النووي وغيرها.

"فالعولمة هي التي جعلت الحرب واقعة يومية للسياسة" (التريكي، 2009، صفحة 92)، فالحرب ما هي إلا سبيل لتوحيد نظم التفكير، وتشكيل فعل ثقافي إجباري، وهي طريقة لفرض الهيمنة، ولا تزال كذلك حتى تحقق خطاباتها الاستعمارية وما بعدها إن تطلب الأمر للتعريف بذاتها، وقد انتشرت هذه الرؤية بعدها تشكلها بإتقان عندما سهل انتشار الأشياء والأفكار، وبهذا كله ينشأ "المجتمع متعدد الثقافة"، وتتشكل هنا أزمات الهويات والقوميات الواحدة. و "المجتمع المتعدد الثقافات" ينشأ عن طريق الهجرة واللجوء السياسي، وهنا تصبح الأزمة كبيرة عندما يحاول المجتمع التماسك بين أطرافه.

وخلاصة القول أن الحياة اليومية ينبغي رصدها من خلال فلسفة متعددة الثقافات، وعلى حد تعبير جاك دريدا- العالم ما هو إلا "التوقع غير قابل للاختزال" (التريكي، 2009، صفحة 99)، وإلا سيتلاشى هذا الكيان عند اختزاله في مجموعات معينة. وهذا لا ينشأ إلا من خلال تضافر الثقافات ضمن أنساق معينة، وهذا ما يفرز إشكاليات الهوية وأشكال التدويع المختلفة "ففي تاريخ المجتمعات لم نجد مطلقاً ضمن الأنظمة السياسية مزيجاً أكثر تعقيداً من تقنيات إبراز الذات (التفرد والتميز)" (Foucault, 1984, p. 302)، بمعنى أن النظم السياسية والمجتمعية الجديدة قد قادتنا إلى التماهي ضمن الجماعة، وقضت على إرادتنا في التفرد، وهذا ما يعرف بالهيمنة التي تقيد إرادة المعرفة وإرادة الإحساس وكل تدويع أو رغبة للتفرد. هنا تنصهر جميع العناصر لتشكل كلا مبعثراً متراحي الأطراف، وهذا هو التماهي في إطار التضافر بين الثقافات، فتتحقيق الاختلاف أو الغيرية يأتي في تقاطع مع التفرد شرط أن لا يتمثل في النرجسية.

فالثقافة هي سبيل التماهي للأفراد والشعوب، وهي بنى تتضافر تعدديتها لتحقيق خطاب قد يفرض هيمنته على ذواتنا، وهذا التعريف كاف للحد من المركزية الغربية أو غيرها، وبهذا نجد أن "التريكي" بحث فيما بعد التنوير وفي القوميات المهمشة كالهنود الأمريكيين (التريكي، 2009، صفحة 108) وغيرهم، وهذا ما يدفعنا إلى البحث جيداً في الخطابات ما بعد الاستعمارية.

4.2.4. الانطلاق من البنيوية نحو الأخلاق وعلم النفس والميادين الأخرى:

اعتبر التريكي النسق المختلف الأجزاء والمتعدد المجالات السبيل الأمثل للتفلسف، ومن الأسس التي بنى عليها هذا التعدد مجال علم النفس والسياسة، ونجده ركز على جانب المجتمع في كتابه "الفلسفة والحياة اليومية"، وركز أكثر على معقولية السياسة والتاريخ والعلم، ومن المفاهيم الفوكوية التي بعثها "التريكي" في كتاباته وفي السياق ذاته مفهوم السلطة (الهيمنة).

5.2.4. نفى العقل:

نفى "التريكي" فكرة موت العقل (التريكي، 2009، صفحة 08) القائلة بأن العقل أو الفلسفة لا يمكنه أن يندمج في حياتنا ويناقشها لأنها قطعت شوطا كبيرا من التكنولوجيا، وأن هذا العقل ناجع، ويمكن أن يرتبط بالواقع ارتباطا وثيقا، إذ اشتمل على فن أو أخلاق أو غيرها، وهي ذاتها فكرة "فوكو" التي دعا من خلالها إلى ربط الفكر بالواقع والكلمات بالأشياء، فالخطاب الفلسفي فعال إذا كان متنوعا، وهذا ما بينه "التريكي" في كتابه "العقل والحرية"، فيجب أن نكون عقليين لا مفر مع اتخاذ المبادرة للتنوع والاختلاف.

فينبغي إعادة الدراسة للعقلانية العربية في إطار المرحلة ما بعد الاستعمارية، ومحاولة البحث عن مواطن نهضة الحضارة العربية، وتفجير مواطن زخمها الفكري، ومعرفة لحظات القطيعة والتغير الجذري فيها، وهذا في إطار خطاب فلسفي متعدد ثقافته وتتماهى من أجل نسق معين، ليس واحدا ولا أحاديا، وإنما معيناً نريده فقط.

وهذا ما طرحه "التريكي" في كتابه "الفلسفة الشريفة": أن الفلسفة المعاصرة لم تعد مسجونة بين جدران المعرفة" (التريكي، 2009، صفحة 163)، وهذا ما دفعه إلى اصطلاح ما يعرف بالفلسفة المطبقة التي تربط بين القول والفعل، أو هي الفلسفة التطبيقية.

5. خاتمة:

انطلاقا مما سبق توصلنا إلى أن:

- حفريات المعرفة التي أرسى معالمها "فوكو" شغلت عددا كبيرا من النقاد والمفكرين العرب، وأن تنوع التجربة التي عايشها قد أسهمت إلى حد كبير في اتساع نقاط تلقيه عند غيره، فـ "فوكو" جمع بين البنيوية وعلم النفس والفلسفة والتاريخ فكان لزاما على دارسيه أن يتقفوا أثره بالطريقة ذاتها.
- تجربة "فوكو" النقدية كانت تطبيقية تجريبية، وكذلك تجربة "فتحي التريكي" لأنه ربط الخطاب الفلسفي بمواضيع اقتصادية وسياسية وحتى يومية، فكانت ذات طابع متداول، وبذلك أخرجها من الأروقة الكلاسيكية القديمة.
- منهج الحفر المبتكر قد أسهم في عرض مناقشات جديدة للواقع العربي من زوايا نظر مختلفة ومواكبة لروح العصر، فكانت بذلك حفريات اختلاف وانفتاح وتشتت وإعادة بناء.
- التجربة النقدية عند "فتحي التريكي" تعلق بالجانب الاقتصادي والسياسي أكثر من الجانب الفلسفي الفكري، ومع كل المصطلحات المبتكرة التي قدمها انطلاقا من حفريات "ميشال فوكو" لاتزال أعماله بعيدة عن تكوين نظرية نقدية قائمة بذاتها كتلك التي استمد منها رؤاه.

- "التريكي" قد ضمن أعماله مبادئ "ميشال فوكو" ومصطلحاته إلى حد بعيد، يمكن القول من خلاله أن "فتحي التريكي" كان قارئاً واعياً لـ "فوكو"، فعرف متى يقترب من آرائه ومتى يبتعد عنها، وأنه وقف من الحضارة العربية والفكر العربي كما فعل فوكو مع الحضارة الغربية، وأنه أسهم في التعريف بالخطاب الفوكوي وحاول تجاوزه، وقد أوضح في كتبه دائماً تبنيه لأعمال الكثير من الحداثيين أمثال "جاك دريدا" وقبله "جيل دولوز" و"فريدريك نيتشه".

- وركز "التريكي" على مفهوم الحداثة بأن ربطه بالجانب السياسي، ووظف مفهوم السلطة الذي صاغه "ميشال فوكو"، وربط مواضيعه بالحركات الاستعمارية وما بعد الاستعمارية، فكان هدفه خلق فلسفة عربية مطبقة ترتكز على التطبيق مثلما ترتكز على الجانب النظري، وهذه الفلسفة يجب أن تكون شريفة يومية تندمج مع حياتنا اليومية، وكثيراً ما أطلق عليها مصطلح "الفلسفة المفتوحة" القائمة على اللامركز.

وبذلك برز في النقد العربي المعاصر مفكر موسوعي حداثي كـ "فتحي التريكي" ألمّ بالعديد من الجوانب الفكرية، وأثرى الحركة الطلابية التونسية والفكر النقدي العربي المعاصر، ورسخ منهجاً جديداً لا خطياً في الخطاب النقدي الفلسفي المعاصر.

قائمة المراجع:

- التريكي فتحي، و التريكي رشيدة. (1992). فلسفة الحداثة. بيروت، لبنان: مركز الإنماء القومي.
- التريكي فتحي. (2009). فلسفة الحياة اليومية، ط. 1. بيروت- تونس: الدار المتوسطة للنشر.
- التريكي فتحي. (2020). الذاكرة والمصير محطات في سيرتي الذاتية. تونس: الدار الموصلية للعلم.
- جيجيكة إبراهيمي. (2011). حفريات الإكراه في فلسفة ميشال فوكو، ط. 1. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- غرو فريدريك. (2008). ميشال فوكو. (تر. محمد وطفة) بيروت، لبنان: مجد للدراسات والنشر والتوزيع.
- محمود محمد علي. (2020). الذاكرة والمصير: محطات في سيرتي الذاتية.. قراءة تحليلية- نقدية في فكر فتحي التريكي. تونس: الدار المتوسطة للنشر.
- نظيف أحمد. (30 مارس، 2021). ميشال فوكو في تونس... عن اليسار والحركات الطلابية والجنس وإسرائيل. تاريخ الاسترداد نوفمبر، 2024، من رصيف22: <https://raseef22.net/article/1082133>
- Foucault, M. (1970). *L'ordre du discours*. Paris, France: Gallimard.
- Foucault, M. (1984). *Le Souci de Soi*. Paris, France: Gallimard.